مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 8 العدد 1 / جوان 2022
ص ص 143–157

الحدود الحضارية والتمثلات الثقافية بين بجاية الحمادية وتلمسان الزيانية.

The cultural boundaries and representations linking Bejaia Al Hammadia and Tlemcen Ziania.

أحمد مزيان
أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر 02، (الجزائر)،
Ahmmez91@gmail.com

الاستلام: 2021/08/24 القبول: 2021/10/30 النشر: 2022/06/30

ملخص:

نسعى في هذه الورقة البحثية إلى النظر في بعض الجوانب التي رسمتها جهود علماء عاشت على ظهر هذه الأرض الطيبة، من خلال التمظهرات الجليلة للحواضر العلمية التي كانت تضمها رقعة المغرب الأوسط بحدودها الجغرافية الواسعة، ولم تكن الجزائر عبر تاريخها الحافل معبرا للقوافل، ومبيتا للظاعنين يتخذ عند الحاجة كما يزعم البعض، بل برزت فيها عواصم اعترفت لها الممالك والدول بالسبق والسموق العلمي، فمن تيارت الرستمية، مرورا ببجاية الناصرية، وصولا إلى تلمسان الزيانية، كل هذه المدن كانت شاهدة على حياة فكرية وثقافية، تجلت أغلبها فيما دوّنه الرحالة، والمعتنون بتاريخ المغرب بشكل عام، فضلا عن الآثار الدالة على الحضارة التي نتحدث عنها، فالقلاع والقصور الملكية، وحتى المساجد العتيقة، والزوايا المباركة الضاربة في جذور التاريخ، وتبقى حاضرة بجاية بتاريخها المشهود الذي سطرته دول كثيرة، اتخذت منها إما عاصمة لملكها السياسي، أو أبقتها إرثا ثقافيا بحفرياتها وما ينقلها المؤخرون عنها، ولم يخب أوارها بعد سقوط الموحدين وقيام الدول الثلاث المشهورة، ولمكانتها بقي الصراع عليها محتدما بين الحفصيين والزيانيين لا يعرف له حدود، بل يصعب التنبؤ إلى أي جهة تنسب، رغم عدم اعتدادهم بها كعاصمة لملكهم، وذلك للزخم التاريخي والثقافي الذي تجثو فوقه، فسعت كلا الدولتين لربط العلاقة بها، وتقريبها إلى نطاقها.

الكلمات المفتاحية : تلمسان؛ المؤسسات العلمية؛ بجاية؛ المذهب المالكي، التصوف.

Abstract:

We seek through this paper to look at aspects Related to scientific cities Of the Maghreb,With its wide geographical boundaries.In which capitals emerged recognized by the kingdoms and states,And The scientists who came to it knew their value They seek reward from their sheikhs and scholars,We find Tiaret Rustemiya Passing through Bejaia Nasiriyah Right up to Tlemcen Ziania And other cities that witnessed a terrible intellectual and cultural life manifested in what the traveler noted,As well as the survival of the effects of the civilization we are talking about castles and royal palaces and even ancient mosques and angles blessed at the roots of history,And Bejaia remains present with its acclaimed history of many countries,Despite the struggle between the Hafsids and the Zayans over themThis is due to the historical and cultural momentum it has endured.

Keywords: Tlemcen, Scientific institutions, Bejaia, MalikiDoctrine, Mysticism.

1.مقدمة:

حظيت كلٌّ من بجاية وتلمسان بزخم غير معهود من الاتصالات العلمية، حفظت بها استمرارية الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط، رغم الاختلاف السياسي الحاصل بين المدينتين، ولم يكن هذا النشوز ليكبح جماح الروابط العميقة المتأصلة بين أهالي المنطقتين.

وعلاوة على موقعهما الجغرافي الذي يسمح لهما بتأدية مهمة الربط بين المشرق والمغرب، باعتبارهما محطتين مركزيتين لكل رحالة يشدو العلم أو الحج أو التجارة، وينبغي التوقف فيهما للتزود كلٌّ وحاجته من التوقف، فإن العلاقة بين بجاية وتلمسان شهدت علاقة أكبر من أن يكون الجامع لها موضع ارتسمت عليهما حدودهما الجغرافية، إذ يدخل في هذا السياق ما لو حصرنا الربط في الطرق التجارية مدنا داخلية بالمغرب الأوسط لا يحصى عددها، **فما الذي خص إحداهما بالأخرى في تشكيل هذه العلاقة ؟.**

وللإجابة عن هذا التساؤل ارتأينا أن نعالج السؤال من ناحية إفراده (أي ما يتعلق ببجاية ثقافيا) قبل البحث عن العلاقة المركبة التي تجمع الحاضرتين، المتمثلة في الحياة الثقافية والتبدلات العلمية الحاصلة بينهما، مستعينين بالمنهج التاريخي، ومحللين للمواقف الماثلة، مركزين في توجهنا على حاضرة بجاية، وبالله التوفيق.

2 . المؤسسات التعليمية في بجاية :

1. 2 . المساجد :

جرت عادة المنظرين للأحوال السوسيولوجية فيما يخص المجتمع من أمر التعليم، النظر في المؤسسات الفاعلة بإحصائها، وتحسس حركتها البيداغوجية واللوجستية، ونحوها من الظروف المطلوبة لمثل هذه المؤسسات، فضلا عن النظر في البرامج وطرق التدريس بها.

ومن الملاحظ عن المسجد كمؤسسة قائمة بتعليم الناس وتكوين الطلبة، أنه لم يختلف دوره ببجاية عما عهد منه من أصل تأسيسه منذ فجر الإسلام إلى ذلك الزمان، ففيه تُعقد مجالس الشورى والإدارة والقضاء والحكم والإفتاء وغيرها من الأمور المتعلقة بالدين والدولة، فضلا على العناية بتعليم القرآن وتحفيظه، وتدريس علوم الآلة من لغة وأدب وغيرهما.

وقد ذكر الغبريني أبو العباس (704هـ /1304م) (1979، ص 150) جملة من مساجد بجاية المشتهرة على عهده، منها ما يرجع أصل تسميته إلى علم من العلماء البارزين، الناشطين بها، القائمين على شؤونها كمسجد أبي زكريا الزواوي (611هـ /1214م)، الذي جعله معتكفا له وموضعا لدرسه، كما أن مرقدُه بجانب المسجد قد جعل مزارا من جملة المزارات المعروفة، كما كان شاهدا على مجيء علمين من أعلام التصوف المغربي هما : أبو مدين التلمساني (594هـ /1198م) إليه مقيما فيه دروسه العلمية، وحضراته الصوفية، وصنوه أبو الحسن الحرالي (631هـ /1241م) الذي كانت له فيه زيارة وخطب (الغبريني، 1979، ص ص 27-150).

وغير بعيد عن حومة اللؤلؤة أيضا يشرف مسجد أبي زكريا المرجاني الموصلي الذي كان يجتمع إليه فيه الأفاضل، والصلحاء، والمتعبدون لسماع غريب أحواله، ولمطالعة عجيب أقواله، وقد بناه البجائيون له إمعانا في بيان فضله، وتخليدا لحسن سر هذا المشرقي الذي نزل عليهم من بلاد العراق (الغبريني، 1979، ص 178).

وثلّث الغبريني (1979، ص 149) بذكر ما كان ذا خطر من المساجد التاريخية التي شهدت لحظات عظيمة في تاريخ الغرب الإسلامي عامة، وكانت بجاية موقعه وبالتحديد في منطقة

"ملّالة" حيث مسجد الإمام المهدي ابن تومرت (524هـ /1130م)، والظاهر أن المسجد كان حاملا لهذا الاسم إلى ما بعد عهد الموحدين، وبقي شاهدا على اللحظة التاريخية التي شهدت ميلاد الدولة الموحدية، وفي هذا الموضع حصل لقاء هذا الأخير مع صانع مجد دولته الموحدية عبد المؤمن بن علي الكومي (558هـ /1163م) (البيذق، 1971، ص ص 13-20).

وأما المسجد الذي امتدت شهرته إلى الحقبتين الموحدية والحفصية على حد سواء قبل أن تطمس معالم ذكره، وتغيب رسوم وجوده بدخول الإسبان إليه، فهو المسجد الأعظم أو المسجد المنصوري الذي به عرفت بجاية الناصرية، فقد بناه الخليفة المنصور بن علناس الحمادي(498هـ /1105م)، واجتهد في تزيينه، وتشييده ليدهش به كل راءٍ له وناظر إليه، قال العبدري (678هـ /1280م) في رحلته (2005) واصفا له بكلمات حسنة يمكننا جعلها أبرز شهادة لهذا المعلم التاريخي من حيث عمرانُه، كون العبدري شديد النقمة، حديد التشفي بالمغرب الأوسط شعبا وهيكلةً، "ولها جامع عجيب، منفرد في حسنه غريب، من الجوامع المشهورة، الموصوفة المذكورة (...) فهو غاية في الفرجة والأنس، ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس" (ص83).

كما حظي أيضا طلاب مسجد القصبة المتواجد في وسط المدينة بدروس أملاها عليهم عبد الرحمن بن خلدون(808هـ /1406م)، وسبب حطه به ما كتبه إليه ـ وهو بالأندلس ـ الأميرُ الحفصي أبو عبد الله محمد يستقدمه إلى بجاية، ليشاركه في أمره ويوليه حجابته، فغادر عبد الرحمن مقره، ولما وصل إلى بجاية استقبله أميرها وأهلها استقبالا حفيا حافلا، وقُدّم للخطابة بجامع القصبة، كما أوكلت له مهمة تدريس الطلبة، وكان لا ينفك عن ذلك طوال النهار (ابن خلدون، 2004، ص 95).

هذه جملة من بعض مساجد بجاية المشهورة الذكر، المعلومة الأثر، والتي حفلت بوجود كبار العلماء في زمانهم، بعضها باق إلى زماننا، وبعضها الآخر قد هبت عليه رياح الزوال، ولولا حفظ المراجع لأثرها ما علمنا من خبرها شيئا، وقد بلغ عدد مساجد بجاية مما أحصاه بعضهم اثنين وسبعين مسجدا، موزعة على كثافة سكانية تقرب من خمسين ومائة ألف ساكن، وقد شهد بالكفاية المقدمة لطلاب العلم وعامة الناس حسن الوزان (1983) حيث يقول : "وفيها (أي بجاية) جوامع كافية، ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة" (ص50).

وإلى جانب الكفاية الكمية العمرانية للأهالي، فإن الشيوخ المدرسين والمعلمين ببجاية كانوا من ذوي الكفاءة العلمية العالية، وفضلا عمن سبق ذكره من العلماء فقد كان ببجاية تسعون مفتيا أواخر القرن السادس الهجري (بوعزيز، 2009، ص 160)، كما حفظ ثبت أبي العباس الغبريني بين دفتيه ما يربو على مائة ترجمة لكل من جاء بجاية ودخلها من غير أهلها، أو كان من أبنائها من العلماء، والمفتين، والمشايخ المعلمين في المائة السابعة الهجرية.

وفيما يتعلق بصورة التعليم وطريقة الأخذ بمساجد بجاية فإنها لم تتغير، بل بقيت محافظة على ما كان متداولا من النمطية الكلاسيكية في التدريس، بقعود "(...) الأستاذ أو الفقيه على كرسي حتى يراه جميع الطلبة، أو مستندا على ظهره على عمود أو ركن من أركان المسجد، وحوله يجلس التلاميذ أو الطلبة في شكل حلقة محيطين به، وكانت الأبواب تفتح والحضور مباح للجميع" (عشي، 2011، ص 103)، وليس أدل على مغزى إباحة الحضور للعامة، ومدى انتفاعهم بما يلقيه عليهم المشايخ من الكتب الثقيلة الوزن من شرح

محفوظ، قولُ المؤرخين : " حتى العوام والعمي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري والمدونة والموطأ، ويشرحونها للناس من ذاكرتهم" (بوعزيز، 2009، ص 160).

2 . 2 . الكتاتيب والزوايا والمدارس :

سارت الزوايا والمساجد بالغرب الإسلامي على فتوى الإمام مالك (179هـ /795م) ـ رحمة الله عليه ـ في منعه تعليم الصبيان في المساجد، حفاظا على نظافتها، ووقارها، وليجد المصلون الجو الملائم لأداء شعائرهم، ثم دعت الحاجة إلى استحداث السقائف (ابن عبدون، ابن عبد الرؤوف، الجرسيفي، 1955، ص 24) أو الكتّاب كأماكن يجتمع فيها الغلمان بمعلميهم لحفظ القرآن خاصة وبعضا من العربية والخط.

وتعد هذه المؤسسات اللبنة الأولى لتلقي العلوم الأساسية في مسار الطالب، ليرتقي بعد ذلك في الأخذ والسماع، ولم يقتصر التعليم في الكتاتيب على تلقين الصبيان العلوم السابقة، بل للمكتب أهداف تربوية أخرى، من تهيء الصبي أخلاقيا، والحرص على تقويم سلوكه إلى أن يدخل المسجد مع الداخلين من أمثاله ليحضر مجالس الشيوخ المشهودة.

وبعد مرحلة الكتاتيب إلى سن التمييز يتخرج الغلام لينتقل إلى مؤسسة أخرى أعلى رتبة منها وهي الزاوية، حيث تعد هذه الأخيرة همزة وصل أو المرحلة الوسطى (عبد العزيز، 1987، ص 39) بين الكتاتيب التي تمثل المرحلة الابتدائية، والمدرسة التي تمثل مرحلة المتقدمين أو الثانوي بالتعبير المعاصر.

ولقد أخذت الزاوية في بجاية على غرار الزوايا بالمغرب الإسلامي أشكالا عدة يمكن تلخيصها (سيدي موسى، 2011، ص ص 117-118 ؛ محمدي، 2013، ص ص 110-111) فما يلي :

أ/ الزواية البسيطة : وهي عبارة عن بناء متكون من قاعة الدرس، ومكتبة ومسجد للصلاة، وصحن كبير حوله غرف الطلبة، وغالبا ما تقوم على أراض أعدت للحبس والوقف، كما أن دَخْلها حاصل لها مما وُقف لأجلها تارة، ومن الهبات والأعطيات تارة أخرى.

ب/ الزاوية ذات الضريح المُزار: وهي التي بنيت حول ضريح أحد الأولياء الصالحين، ويقصدها الناس لأخذ البركة والدعاء.

ج/ الزاوية الطرقية : وهي التي أسست من أجل جماعة المريدين على طريقة شيخهم، يرددون فيها الأذكار والابتهالات والأوراد، ويعقدون مجالس الوعظ بها، والحضرة الإلهية إلى جانب احتوائها على المتطلبات الضرورية لمكوث الطلبة بها.

وانتشرت ببجاية العديد من الزوايا التي ساهمت في التعليم ونشر الثقافة الإسلامية العربية على نطاق واسع جدا، نظرا لاستيفائها شروط الاستقبال الجيدة والراحة التي ينشدها طالب العلم في طريقه، وقد ذكر الغبريني بعضها في كتابه فعلى سبيل المثال :

أ/ زاوية أبي زكريا يحي بن أبي علي الزواوي، وقد ورد ذكرها في أكثر من موضع حين ترجم له الغبريني (1979) فيما نقله عن أبي العباس ابن الخراط المقرئ، من ذلك قوله : "ثم دخل زاويته دون أن يختم مجلسه بالدعاء المعهود منه" (ص129)، وقوله متحدثا عن خروجه للناس منتظرا الصلاة، ووضع كرسي له للتدريس : "خرج على الناس من زاويته، وجلس منصتا لاستماع الخطبة، فلما قضيت الصلاة، نصبوا له كرسيه واستوى عليه" (الغبريني، 1979، ص 129)، والظاهر من أمر زاوية أبي زكريا الزواوي كونها محلة خاصة به جعلها للعبادة والعزلة عن الناس، وقد يلتقي ببعض مريديه فيها للتعليم والخلوة.

ب/ زاوية للشيخ أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي (662هـ /1264م)، التي قال عنها خادمه معاوية الزواوي وقد أتاه يوما ليراه، قال : "فلما وقفت عند باب الزاوية أصابتني هيبة، وسمعت

كلاما بداخلها ومذاكرة" (الغبريني، 1979، ص 176).

ج/ زاوية يحيى العيدلي (881هـ /1476م) بتامقرة وهي أشهر الزوايا البجائية آنذاك، وقد عرفت هذه الزاوية باسم مؤسسها الذي شهد له بالعلم والتقى كبار علماء وقته كعبد الرحمن الصباغ (ق 9هـ /14م) شارح متن الوغليسية في الفقه المالكي، وعبد الرحمن الثعالبي (875هـ /1471م) دفين الجزائر العاصمة وغيرهم (العقبي، 2002، ص 462).

ومن أشهر العلماء الذين تخرجوا بهذه الزاوية الفقيه الصوفي أحمد زروق البرنسي (899هـ /1493م) صاحب الكتب الكثيرة والتواليف الجليلة، "حيث يبدو أنه استقر مدة طويلة بالمنطقة وعمل مدرسا بالزاوية، وبها عمد إلى حركة التأليف، فأنشأ شرحه الفقهي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني" (سيدي موسى، 2011، ص 119)، إضافة إلى عبد الرحمن الصباغ السالف الذكر والصوفي العارف أحمد بن يوسف المليانى (927هـ /1521م)، وغيرهم من الذين شدوا الرحال إلى يحي العيدلي وزاويته.

وبهذا قامت الزاوية ببجاية بالأمر المرجو منها كمؤسسة علمية واجتماعية تهتم بتعليم الطلبة وإيوائهم، وبعد الحديث باللغة العربية من القوانين الصارمة والإجبارية في النظام الداخلي للزاوية (العقبي، 2002، ص 463)، ولوحظ عنها أيضا خدمة اللغة العربية بالمنطقة ونشر المذهب المالكي وتوطيد أركانه فيها، كما تعد خزانا هائلا للمخطوطات والتأليف في مختلف العلوم التي تركه المشايخ مما كان يلقنون به طلبتهم، أو لكتب نُقلت إليها عبر النَّسْخ.

وبانتهاء الطالب من المرحلة الإعدادية يرتقي إلى الدراسة في المعاهد الرسمية والحكومية، فتأتي المدارس لتمثل هذه المؤسسة، ويبدو أن انتشار المدارس أيضا كان كثيفا ببجاية على ما سبق من قول شريف الوزان (نحو 957هـ /1550م) وشهادة الغبريني (1979)، فقد ذكر هذا الأخير بعضها دون تعيينها ولا إحصائها، كما حصل في ترجمته لأبي عبد الله بن شعيب الذي "ولي مدارس فزانها بجميل نظره، وجملها بحميد أثره" (ص190).

وقد سبق الحفصيون غيرهم في معرفة هذا النوع من المؤسسات العلمية، فانطلقوا في تشييدها انطلاقا من تونس وصولا إلى بجاية، "(...) وإذا كان التعليم الذي تقدمه الكتاتيب والمساجد منتشرا في الحواضر والبوادي والقرى على حد سواء، فإن المدارس اقتصر وجودها على الحواضر الكبرى حيث كان الشباب من البادية والراغبين في إتمام الدراسة والتخصص كان عليهم التوجه إلى مدينة بجاية لمواصلة تعليمهم" (سيدي موسى، 2011، ص ص 112-113) ، وقد أبان وضع المدراس المحصور بالحواضر فقط عن شظف عيش أغلب شرائح الرعية، مما دفع بالكثير من الطلبة إلى الإحجام عن إتمام الدراسة إلا قليلا منهم، ممن يشدو القضاء أو الشهادة أو هما معا.

وقد واكبت الدولة الحفصية رعاية هذه المؤسسة بما يخدم الطلاب الفقراء الخارجيين، فاستحدثت سكنات خاصة بهم، تؤوي كل مريد للعلم بعيد على أهله، لكون أكثر الطلاب لا يستطعون دفع أجر الكراء، ولولا هذه الوظيفة المقدمة تسهيلا لهؤلاء لنكل كثير من أهل البوادي على إتمام دراستهم.

وامتازت المدراس عن المساجد والزوايا برعاية خاصة توليها الحكومة والسلطان لها من حيث التمويل والمراقبة والمتابعة، بدءًا من تأسيسها، وصولا إلى الوقوف على شؤون مدرسيها والقائمين عليها تعيينا وعزلا، ولم تكن تلك الحرية التي لوحظت على المساجد في انتداب المشايخ، والعلماء، وطريقة العمل وسير المؤسسة سارية المفعول، لأن هذه المدارس معدة أصلا لاستقبال وتكوين الموظفين

المخلصين للدولة وللنظريات الدينية التي أقرتها (برنشفيك، 1988، ص ص 376-377).

وبهذا يفهم سر بُعد منالها عن أيدي الفقراء من عامة الناس، زيادة على ما سبق من الظرف الاجتماعي المزري للرعية، ولعلمهم أيضا بأن الذاهب إلى هنالك قد يتعرض لاستقبال أقل ما يقال عنه أنه محتشم جدا، وسيلقى إن طالت به الأيام في غربته بالمدرسة أياما شديدة كما نُقل هذا عن بعض الروايات (برنشفيك، 1988، ص ص 377- 378).

ويضيف روبار برنشفيك في كتابه تاريخ إفريقية (1988، ص ص 379-381) تفاصيل مهمة جدا حول النظام الداخلي للمؤسسة والبرنامج التعليمي الذي يقدمه المعلمون، وقد أبان عن الكتب المقررة على الطلاب حسب طريقة كل شيخ، وقد ذكر أمثلة لبعض العلماء، كابن عرفة الذي غيّر من نمطية السماع بما رآه صالحا إلى طريقة الإلقاء الأكثر حيوية، أو انتهاج طريقة الدرس المقارن وسرد الخلاف العالي، كما فعل ذلك عبد العزيز بن موسى العبدوسي (837هـ /1433م) المتوجه بدروسه إلى المطلعين من الطلبة.

والعجيب أن وحدة المذهب الفقهي الذي ساد قطر الغرب الإسلامي لم تكن لتحد من شتات طرق التعليم، فبينما يبدو أن المدرسة في هذه البلاد اعتمدت "(...) على قاعة واحدة للتدريس اعتمدت المدرسة في المشرق على قاعتين أو أربع قاعات، والسبب في ذلك يرجع إلى أن أهل المغرب كلهم تقريبا يتبعون مذهب الإمام مالك، ولهذا لم تكن هناك حاجة إلى قاعات أخرى لتدريس مذاهب أخرى" (عبد العزيز، 1987، ص 57).

3. الرحلة العلمية من بجاية ... وإليها :

شغلت بجاية كغيرها من الحواضر العلمية الذائعة الصيت حيزا ذا بال في سجلات الطلبة، ومريدي الرياضة الصوفية والسلوكيات، وذلك بإيجاب زيارتها والأخذ من معين علمائها في أول سانحة تسمح بذلك، فكثر الخارجون منها إلى تونس وفاس والأندلس والحجاز لأداء فريضة الحج ولقاء المشايخ، كما ضجت بأعداد الداخلين إليها من هاتيك الأقطار لنفس الغرض غير آبهين بمشقة السفر، ولا رافضين لعلم غيرهم اكتفاءًا بما لديهم منه، بل كانوا يرون أن من تمام علم المرء سياحة في سبيله بعد حيازة أغلبه في محله وسكناه.

وسأصب الاهتمام في حديثي على سرد بعض النماذج لبعض الوجهات توجهها هؤلاء العلماء في رحلتهم العلمية، وما ذاك إلا لتعذر إحصائهم بيوغرافيا في وريقة بحثية صغيرة، وكان حق دراستهم دراسة وافية في رسائل خاصة توضع لهذا الشأن. والآن أوان التبرك بأثرهم، فمن العلماء الذين خرجوا من بجاية متوجهين نحو المشرق :

جدول رقم 1: بعض من خرج من أهل بجاية إلى غيرها من الأقطار

اسم الطالب	تاريخ الميلاد والوفاة	الاختصاص	الرحلة والمهنة	مصدر الترجمة
أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري.	... / 682 هـ ... / 1283 م	له علم بأصول الفقه وحظ في أصول الدين ومشاركة علم الأدب.	رحل إلى المشرق وقرأ واجتهد وحصّل وأتقن، لقي الشيخ عز الدين عبد السلام وغيره وعنه أخذ أبو العباس الغبريني.	- عنوان الدراية للغبريني ص 93. - نيل الإبتهاج للتنبكتي ص 79.

				- شجرة النور لابن مخلوف الزكية ج 1 ص 289.
أبو الحسن علي بن أبي نصر.	606/ 652 هـ 1209/1254م	من أهل بجاية له فضل وعلم وعلو سند في الحديث.	أخذ العلم بمكة وبلاد الشام ولقي الأبياري بالإسكندرية وبعد عودته إلى بجاية من رحلته كان يروي ويسمع ويتفقه عليه.	- نيل الابتهاج ص 321. - عنوان الدراية ص 137. - التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ص 252و 253.

كما لم تَخْبُ الرحلة باتجاه المشرق ولكن هذه المرة إلى المغرب الأقصى (تونس وما جاورها من المدن) من أطياف كثيرة من الطلبة كأول جهة مرغوب فيها ويبدو: "(...) أن العامل الجغرافي المتمثل في القرب، كما أن الطيف السياسي الواحد بين بجاية وتونس وتشجيع السلطة الحفصية لطلبة العلم ومحاولتها الحثيثة لاستقطاب البجائيين." (بريكة، 2017، ص 358).

إضافة إلى كونها الطريق الموصل إلى الوجهة المشرقية إذ لابد للمار أن يجتازها، وجرت العادة أن يمكث الواحد منهم مدة يتزود فيها ماديا ومعنويا ليتقوى على سفره، فهذه جملة من العوامل التي جعلت من تونس أفضل خيار للطلبة البجائيين، وأقرب طريق لنيل شرف الرحلة والحظوة عند السلطة المركزية وعند عامة الناس على حد سواء.

ومما ينبغي الإشارة له هو ذاك الأثر الذي تركه هؤلاء الطلبة البجائيون على الحياة العامة بتونس وعلى أهلها، حيث بمجئهم وبروزهم على أقرانهم أخذوا حظا وافرا من تقدير السلطة واحترامهم، ولسابق سيرتهم الحسنة ببجاية ومعرفة الناس إياهم بالعلم وشهادتهم لهم به، حازوا بذلك أعلى المناصب القانونية، والإدارية، وتصدروا المجالس العلمية مدرسين بها، وأبزر مثال على ذلك عائلة بنو غبرين من أولاد أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني صاحب عنوان الدراية. (ابن مخلوف، 2003، ص 323).

وإذا ما قلبنا وجهة الرحلة وجعلنا من بجاية المدخل والمطلب، فإننا سنقف على أعداد هائلة من الطلبة المغاربة والأندلسيين ممن وفد عليها، وفي أذهانهم أن هذا "(...) البلد بقية قواعد الإسلام، ومحل جلة من العلماء أعلام" (العبدري، 2005، ص 83)، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر:

جدول رقم 2: بعض من دخل بجاية من أهل المغرب الأوسط

اسم الطالب	تاريخ الميلاد والوفاة	الاختصاص	الرحلة والمهنة	رقم الصفحة من المصدر
أبو الحسن علي بن عبد الله الأنصاري.	ق 7 الهجري. 12 الميلادي	من أهل بونة ممن عرف بالدراية والعلم.	ناب عن القضاة في حضرة بجاية.	ص 251.
أبو علي حسن بن الفكون.	ق 7 الهجري. 12 الميلادي	من أهل قسنطينة، فقيه كاتب له مشاركات أدبية.	اشتغل بالتدريس ببجاية.	ص 334.
أبو عبد الله محمد المعافري القلعي.	ق 7 الهجري. 12 الميلادي	أحد الثقات الأثبات، من أهل القلعة لقي بها المشايخ وأخذ عنهم.	انتقل إلى بجاية وأقرأ بها، وجلس للأستاذية وانتفع الناس به.	ص 133 .

المصدر: عنوان الدراية لأبي العباس الغبريني.

وفيما يتعلق بالعلماء الذين أتوا من خارج حدود المغرب الأوسط، نذكر على سبيل المثال هذين العلمـــــــــــــــــــــين:

جدول رقم 3: من أتى من خارج المغرب الأوسط وأقام ببجاية ودرّس.

اسم الطالب	تاريخ الميلاد والوفاة	الاختصاص	الرحلة والمهنة	رقم الصفحة من المصدر
أبو محمد عبد الله بن يحيى الأغماتي.	ق 7 الهجري. 12 الميلادي	من أهل أغمات بالمغرب، نحوي منطقي، لغوي تاريخي، لقي ابن خروف بالمغرب وجماعة.	استوطن بجاية وولي القضاء بها، واشتغل بالتدريس بها.	ص 223.
أبو زيد بن محمد القرشي الصقلي.	ق 7 الهجري. 12 الميلادي	لغوي نحوي فقيه من أهل صقلية.	انتصب للأستاذية والإقراء ببجاية.	ص 222.

المصدر: عنوان الدراية لأبي العباس الغبريني.

ويعد هذا الذي ذكرناه غيض من فيض عباب هذه المدينة الأريجة، وقد كفانا عبد الصمد ربيعي (2018، ص ص 2-17) مؤنة عدّهم، وإحصائهم بذكره عددا لا بأس من هؤلاء الطلبة الوافدين من شتى أصقاع الأرض إلى بجاية، وقد بلغ عدد ما أحصاه ستّا وثمانين رجلا اكتملت فيه أغلب معلومات دخولهم، وخروجهم، ولقاءاتهم، وأخذهم، ومهنتهم، ومآلهم، وجملة من إسهاماتهم الجليلة في بعث البحث العلمي والفكري بالمغرب الأوسط في عصره الوسيط والحفاظ عليه، بمساهمة ملحوظة من لدن أهلها الراغبين في تتويج أنفسهم بحلل الريادة في العلم، وممن دخلها من غير أهلها متعلما أو معلما، ليصنع الجميع صورة رائعة من صور التحام العناصر المغاربية، وتعاونها على اختلاف أقطارها وبُعد ديارها، ليبقى العلم الرحم التي يتقاربون بها وينتسون إليها.

4ـ العلاقات الفكرية والثقافية الرابطة بين بجاية وتلمسان :

صحيح أن التباين في الانتماء السياسي (حفصي/ زياني) واضح جلي، كان له في أغلب الأحيان تأثير على العلاقة بين الحاضرتين، إلا أن التجاوز الأيديولوجي قد فصل فيما يمكن أن يداخل الرابطة بينهما بتبديد هذا الصراع الآني المرتكز في أعلى هرم السلطة، وقد تزيّ هذا التجاوز بأسباب أفرزت وجه التأثر والتأثير بين بجاية وتلمسان سنعرض لها تباعا :

4. 1. المذهب الفقهي الواحد :

تختلف وجهات النظر عند أصحاب البحث الإبستيمولوجي لأسباب دخول المذهب المالكي ودواعي انتشاره ببلاد المغرب الأوسط، وذلك حسب تعدد النصوص الواردة في هذا السياق من البحث.

ولن نبعد النجعة إذا ما جعلنا النصوص الدالة على الأسباب والباحثة في الدوافع ذات وجهين اثنين سياسي /إجتماعي، فذهب إلى الأول ابن حزم الظاهري (438هـ /1046م) كما سيتم بيانه، ورجح ابن خلدون (2001، ص 586) الثاني، وعلّله في مقدمته بعامل البداوة المشترك بين الحجاز والمغرب بعدوتيه، إذ لم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، كما ثنّى بالرحلة التي يقطعها أهل المغرب إلى أرض الحجاز للحج وأن هذا الموضع منتهى سفرهم، وذلك باختلاف زوايا أخذ القائلين بها، المدافعين عنها من جهة، ولتباين المنطلق والباعث الذي وردوا عنه من جهة أخرى.

وتجنبا منا لسرد السيرورة التاريخية لهذا المذهب، وما يمتلكه من مقومات شدت أزر بقائه وثباته، بدا لنا الإشارة إلى سر هذا الحضور القوي لمذهب الإمام مالك على هذه الأرض، مستشفعين بنص لابن حزم الظاهري، الذي يعزو فيه استقواء شوكة المالكية والحنفية إلى قوة السلطان حينما يقول : "مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة بالمشرق ومذهب الإمام مالك بالأندلس" (ابن خلكان، 1978، ص 144)، وبنا ابن حزم هذا الاستقواء على نفوذ السلطة القضائية تارة، وتزلف السلطة التشريعية لمن كان ذا خطر عند الناس من العلماء تارة أخرى، فكان للمذهب الحنفي بالمشرق القاضي أبو يوسف يعقوب (182هـ /798م) على رأس القضاة وعلى يديه يتم تعيين البقية، وكان لا يولي قضاء البلدان إلا أصحابه، وبالمقابل كان للمذهب المالكي القاضي يحيى بن يحيى الليثي (234هـ /848م) الذي كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة، وكان لا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه.

وهنا مكمن الطرافة فيما أشرنا إليه آنفا من الفراغ الإيديولوجي للسياسة القائمة على المغرب الإسلامي ممثلة في دولها الثلاث، أو

لنَقُل بين ما كان حفصيا أو زيانيا أو مرينيا إلا في ظاهر السلطة الزمنية، وأما السلطة الروحية والقوة الفاعلة والمشكلة للنسق الفكري والثقافي فقد وقعت بأيدي الفقهاء والعلماء، وهذا ما سنلمحه أيضا في التقارب الواضح الذي أسفرت بوجهه السلطة القائمة من التصوف السني الذي ارتضته العامة وعمل به علماء الظاهر في أبسط صوره من زهد وورع.

ويدعم رأي ابن حزم الظاهري المرتكز أساسا على العامل السياسي بعض الأحداث التاريخية المحفوظة وقائعها، مما يشي بتلك العنجهية الموغلة للسياسات القائمة آنذاك بعضها بعضا لمجرد الخلاف السياسي، أو ليكون التبني الحاصل للمذهب الفقهي قطيعة مع السائد أو ما أُلزموا به إلزاما.

فمن الأول : ما قام به الأمويون بالأندلس حين أثبتوا مذهب الإمام مالك حتى يخالفوا أعداءهم العباسيين الذين انتشر المذهب الحنفي لديهم، فلم يقف الصراع على إثبات الوجود السياسي وامتلاك السلطة ليتعداه إلى واجهة ما يمثلها من أدوات ثقافية.

ومن الثاني ما قام به بنو زيري الذين كانوا "(...) في أول حكمهم لإفريقيا تابعين للفاطميين في مذهبهم، ثم إن المعز لما توقف عن طاعتهم، أوقف العمل بمذهبهم ببلاده واتخذ المذهب المالكي مذهبا رسميا لدولته" (بونار، 1981، ص 250)، ففعلة المعز بن باديس (454هـ /1062م) غير نافية لوجود المذهب المالكي قبل نزول الفاطميين بالمغرب الإسلامي كما تنص على هذا كتب التراجم وطبقات المالكية.

ولو اعتبرنا فعلة المعز دليلا على ذلك الفراغ الذي أشرنا إليه سابقا لكان أوجه، حيث لم يقتنع بمجرد الطلاق السياسي وإحداث القطيعة مع الفاطميين حين دعا لتبعية العباسيين بالمشرق، ورأى أن هذا الأمر لن يكتمل إلا بإرضاء صناع النسق من الطبقة الاجتماعية فحوّل العمل بالمذهب الذي أكرهوا عليه إلى ما كان معهودا عندهم، ولم يوافق عليه الفكر الديني المغربي عليه، وما كانوا يعتقدونه سرا دون الجهر به خوفا من أزلام الشُّرَط الفاطميين وسيفهم.

كما كشفت بعض الممارسات المتجهة نحو خدمة المذهب إلى فرضه في بعض الأحيان تعسفا رغم تجذره في مخيال المنتمين إلى المغرب الإسلامي عن قناعة وممارسة، وذلك من خلال تضافر جهود السلطة القضائية ممثلة في القاضي المالكي الذي تعينه السلطة الحاكمة.

ويتجلى هذا في منع كل ممكن محتمل الوقوع ورفع ما عدا مذهبه من المذاهب الأخرى سواء الاعتقادية منها أو الفقهية، خوفا من زعزعة استقرار الملك وتبلبل الرعية عليه، لأنه سيؤدي إلى المطالبة بحق الممارسة والحرية فيها جراء الانفتاح الممكن حصوله، وعلى هذا يمكننا حمل التوجس الظاهر للإمام سحنون (240هـ /854م) (ابن مخلوف، 2003، ص 103؛ ابن فرحون، 1976، ص 30 ؛ المالكي، 1994، ص 345) ، الذي تولى القضاء في أواخر حياته بإفريقية على العهد الأغلبي بعد محاولات عديدة لثنيه على رفضه، وفي مدة قضائه اجتهد سحنون في تعطيل دروس أهل الأهواء، والنحل الخارجة عن السنة في الجامع الكبير (مسجد عقبة) بالقيروان، وفرق حلقاتهم بالمساجد الأخرى بالمغرب إذ كانوا يتناظرون فيها، وشرد القائلين بها مثل الصفرية والمرجئة والمشبهة والمعتزلة وغيرهم، وعزلهم أن يكونوا أئمة الناس أو معلمين لصبيانهم (محمد زينهم، 1992، ص 153 ؛ عبد الوهاب، 1955 ، ص 26).

وباستجلائنا لبعض الأمثلة البارزة من اعتناء أهل بجاية وتلمسان بهذا المذهب وخدمته مما قرّب مجال التواصل الفكري بين الحاضرتين،

وسمح بالرحلة العلمية وربط مشايخ أهل البلدتين وطلابهما بعضهما ببعض، سيطالعنا الإمام المتقن، الحافظ الفقيه، أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (307هـ /919م) (ابن مخلوف، 2003، ص 164)، نزيل تلمسان ودفينها من أعيان أئمة المالكية بالمغرب كله، استقر بتآليفه في الفقه المالكي بتلمسان، وجعل منها مدينة للعلم، ودارا للفقه على مذهب عالم أهل المدينة.

وإذا كان لمشيخة تلمسان فضل السبق في الاعتناء بأشهر مدونة فقهية مالكية (مختصر خليل) بإدخاله إلى المنطقة وشرحه وتدريسه (فيلالي، 2002، ص 328)، فإن بجاية لم تزل لهذا المذهب حافظة وطلبتها له آخذة، فهذا كبير مشيختهم، الإمام العلم، الفقيه النظّار، أبو علي ناصر الدين المشدالي الزواوي (731هـ /1331م) (الغبرينـــــــي، 1979، ص 229 ؛ التنبكتي، 2000، ص 609) اعتناء كبير بمدونة لا تقل أهمية عن الأولى ألا وهو (مختصر ابن حاجب الفرعي)، وإلى هذا العلم ينسب فضل إدخاله إلى بجاية ومنها إلى المغرب عامة بعد أن تتلمذ على تلاميذ ابن حاجب (646هـ /1249م) و"(...) قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاء به وانتشر بقطر بجاية في تلميذه، ومنهم انتقل إلى سائر الأمصار المغربية" (ابن خلدون، 2001، ص 571) .

وبهذين المثالين وغيرهما ممن لم يسعنا المجال لذكرهم وإنما اكتفينا بمن بدأ منهم وبرز في حمل لواء هذا المذهب الفقهي من أعلام المدينتين، واستئناسا منا بكلمة "الانتشار" على تأدية المراد، واختزال قوائم طويلة من أسماء هؤلاء العلماء الذين توحدت بهم عرى الرابط بين بجاية وتلمسان، وإسهامهم في تكريس التواصل الدائم بينهما.

4. 2. المذهب السلوكي الواحد :

وتبعا للمذهب الواحد المتعبد به ظاهرا ببجاية وتلمسان فقد كان أهل الحاضرتين من ذوي التوجه السلوكي الواحد أيضا في التصوف، ونعني به ما كانت عليه أغلب الشرائح الاجتماعية من الرياضة الروحية والسلوكيات السنية العلمية، التي تمتاز بالبساطة والبعد عن الخوض في المسائل الفلسفية كالحلول والاتحاد والإشراق.

ويبدو من الوهلة الأولى أن اجتماع التفقه على المذهب المالكي والتصوف على شتى مدارسه وتياراته كان ضروريا وغير مفاجئ ولا مصادم، إذ لا تصادم بينهما في الأساس وهذه تراجم القوم طافحة في كتب الطبقات كبوتقة أذابت كل خلاف دُعي ورمي به التصوف السني، نشير إلى هذا لتبيين محل ما يكثر فيه الكلام من صراع محتدم بين السلطة والمتصوفة، وأن المقصود بالمتصوفة طرف دون طرف أو فئة معينة كانت السلطة تخشى جنابها، وأما عند العامة فيبقى أمر القبول أو الرفض معلقا بما يظهره هؤلاء المتصوفة لهم من أقوال وأفعال، وارتقاب تجاسرهم على المسائل المستغلقة على عقولهم، ومن ثم تتخذ السلطة الحاكمة موقفها منهم استرضاء للعامة وحفاظا على ملكهم، إما بالسماح لهم أو منعهم والتعسف في استعمال حق الردع لكل خارج عن نطاق التفكير الجمعي.

لقد شهد المغرب الأوسط ببجاية وتلمسان في مطلع القرن السابع الهجري ثلاثة تيارات كبرى من التصوف (بونابي، 2004) هي :

- التيار الصوفي السني
- التيار الصوفي السني الفلسفي
- التيار الصوفي الفلسفي.

وينضوي تحت كل منها توجهات ومدارس تعود عادة لمؤسسها والقائمين عليها كما تعود أحيانا أخرى لرأي ينشئه صاحبها، ثم يحمل أتباعه عليه، فمن الأول : المدينية أتباع أبي مدين

شعيب بن الحسين، والغزالية أتباع أبي حامد الغزالي (505هـ /1111م)، والشاذلية أتباع أبي الحسن الشاذلي (656هـ /1258م) وغيرها، ومن الثاني : القائلين بالحلول، والاتحاد، والوحدة المطلقة، ووحدة الوجود، ونحوها من الآراء التي تعبر عن أصحابها ونظرتهم إلى الله والإنسان والكون، ولا تكاد تعدم علما في إحدى هذه التيارات إلا وتجد من يحمل الفكرة نفسها في الحاضرتين معا، فقد كان حضور التصوف بشتى مشاربه ضاربا بجرانه فيهما سواء قل عدد المريدين لها أم كثر، وهذه أبرز سمة يمكن ملاحظتها على المشهد الصوفي في ذلك العصر.

كما يمكننا الإشارة إلى أن التيار الباطني الذي تزعمه أبو العباس أحمد بن العريف (526هـ /1141م)، الذي صنفه آنخل بالنثيا (1955، ص 396) ضمن الفلاسفة المشائين، وجعل منه أيضا صدى لابن مسرة (319هـ /931م) مما يوحي إلى المسارات المختلفة التي تعرضت لها حياة هذا الرجل بدءً من البساطة في الفقه والحديث كما في ترجمته في النيل (التنبكتي، 2000، ص 68) إلى التركيب المفرط وإدخال الفلسفات من جهة، والإشراق والغنوص من جهة أخرى.

وتبعه على ذلك تلاميذته الأندلسيون على رأسهم أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي (537هـ/ 1142م) الذي دخل بجاية واستقر بها مدرسا لمذهب شيخه (ابن الأبار، 1995، ص 359 ؛ المقري، 1986، ص 155) ، قد تعرض لتضييق شديد وملاحقات مريرة، ولم تسعف المصادر بذكر المنتسبين إليه، والآخذين عنه في بجاية، حيث بقي الإعماء على برنامجه، والاكتفاء بالإشارة إلى مجرد الإسماع والتحديث. ولم يسلم ممثلو التيار الصوفي الفلسفي من حرالية، والقائلين بالوحدة المطلقة، ووحدة الوجود أيضا مما تعرض له التيار الباطني من مجافاة العامة، وتضييق السلطة، فحصر نشاط الأول في مسجد النطاعين، وبقي الثاني بمدرستيه الحلوية والسبعينية (بونابي، 2004، ص 147) يترنح أهله جائلين في حياتهم، منسيين بعد موتهم إلا ما كان من بناء السلطان المريني أبو عنان (759هـ /1358م) على ضريح سيدي الحلوي (ق7هـ /12م) زاوية ومدرسة فاستُذكر بعد نسيان.

أما السبعينية فلم تحفل بها بجاية في فترة حضور ابن سبعين (669هـ /1269م) بها، ولم تلق شيوعا على يديه بقدر ما شاعت على يدي أبي الحسن الششتري (668هـ /1268م)، الذي أحسن إليها بتقريب مقولات شيخه للعوام، وحسن تدريسه، وطريقته (الغبريني، 1979، ص 239 ؛ التنبكتي، 2000، ص 221)، ولم يكن لبقائها بين أظهر الناس ببجاية بعد ابن سبعين عن حب لها ولا تقبلهم لمبادئها، وإنما السواد الأعظم منها كانوا من الفقراء الصوفية الذين أعجبوا بسمت الششتري في خاصة نفسه.

وأما المنبوذ الأكبر من هذه التيارات فهم أصحاب وحدة الوجود، وقد عرفته تلمسان بنزول أبي العيش محمد بن أبي زيد عبد الرحيم (ق7هـ /12م)، ومن أشهر القائلين بها أبو الربيع عفيف الدين التلمساني (690هـ /1291م)، ولغرابة ما ذهبوا إليه من التنظيرات في الله تعالى والإنسان والوجود تركهم الناس، فاختار الأول الانقطاع والعزلة عن المجتمع التلمساني (بونابي، 2004، ص ص 155-156) ، ورحل الثاني إلى المشرق حيث الأنس والاستئناس بالصاحب المواتي.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن بجاية وتلمسان كانتا شاهدتين على المشهد الصوفي بالمغرب الأوسط، حافظتين له كما كانتا قاعدة للمشترك من الفكر الصوفي على اختلاف تياراته، وتشعب مدارسه، من زهد في الدنيا، وتقشف فيها، وترك ملذاتها، والإقبال على الله تعالى، إلا أن درجة القبول والرفض يتفاوت

قدرها من خلال ما ولي بعد هذا المشترك من أقوال وأفعال، إذ كل المدارس الصوفية مبدؤها تربية للنفس ورياضة لها، وهذه الأخيرة محببة عند العامة، مقبولة لدى السلطة لأسباب كثيرة.

الخاتمة :

تم من خلال ما تم عرضه من الشذرات النيرة عن بجاية بيانُ دورها الفعال في تنمية وتطوير الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط، وعما دار حول هذه المدينة مما يمكنه خدمة العلم والثقافة والمساهمة فيهما، وكذا علاقتها بحاضرة تلمسان حيث كان التواصل ماثلا لم يغب طرفة عين على مختلف الأصعدة وبشتى أطيافه وألوانه.

وشكلت المؤسسات التعليمية الاجتماعية في بجاية من: المساجد، والكتاتيب، والزوايا، والمدارس الحجر الأساس الذي تعتمد عليه إنشاء العلماء وتربية الصغار على طلب العلم، وتشهد كثرة المساجد العتيقة ببجاية لمكانتها كحاضرة علمية مطلوبة من قبل طلبة العلم، وهذا ما جعلها مزارا لدى الأندلسيين وطلبة المغرب الأقصى، فلا يستطيعون تجاوزها إلى بلاد المشرق دون الإقامة بها، فلقد كانت مطلوبة في ذاتها ومن أجل غيرها.

حددنا مكمن توثق العلاقة بين بجاية وتلمسان في "الوحدة المذهبية الفقهية" التي بقيت على مذهب الإمام مالك مذ دخلها أول مرة وإلى يوم الناس هذا، كما آزرت "الوحدة السلوكية" المذهبَ الواحد، ونعني بـ"السلوك الواحد" ما كانت عليه أغلب الشرائح الاجتماعية من التصوف السني، الذي تمتاز بالبساطة والبعد عن الخوض في المسائل الفلسفية كالحلول والاتحاد والإشراق.

قائمة المراجع:

* ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي. (1995). **التكملة لكتاب الصلة**. تحقيق : عبد السلام الهراس. (ج1). بيروت : دار الفكر.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي. (2001). **مقدمة ديون المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وعاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة، مراجعة : سهيل زكار. بيروت : دار الفكر.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي. (2004). **رحلة ابن خلدون**. عارضها بأصولها وعلق حواشيها : محمد بن تاويت الطنجي، حررها وقدم لها : نوري الجراح. (ط1). بيروت : دار الكتب العلمية.

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. (1978). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق : إحسان عباس. (ج6). بيروت : دار صادر.

* ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي، وابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله، والجريسيفي، عمر بن عثمان. (1955). **ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**. تحقيق : ليفي بروفنسال. مج2. القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

* ابن فرحون، أبو إسحاق إبراهيم بن علي. (1976). **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**. تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور. (ج2). القاهرة : دار التراث للنشر والتوزيع.

* ابن مخلوف، محمد بن محمد. (2003). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرّج حواشيه وعلّق عليه : عبد المجيد خيالي. (ج1). (ط1). بيروت : دار الكتب العلمية.

* برنشفيك، روبار. (1988). **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**. ترجمة : حمادي الساحلي، (ج2). (ط1). بيروت : دار الغرب الإسلامي.

* بريكة، مسعود. (2017). "**الرحلة العلمية بين بجاية وحواضر الغرب الإسلامي (ق7-9هـ/ 13-15م)**". مجلة الأدب والحضارة الإسلامية. ع 20. ص 358.
* بالنثيا، آنخل جنثالث. (1955). **تاريخ الفكر الأندلسي**. ترجمة حسين مؤنس. القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية.
* بوعزيز، يحيى. (2009). **موجز في تاريخ الجزائر**. (ج1). (ط2). الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
* بونابي، الطاهر. (2004). **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين /12 و13 الميلاديين**. عين مليلة : دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
* بونار، رابح. (1981). **المغرب العربي تاريخه وثقافته**. (ط2). الجزائر : الشركة الوطنية للتوزيع والنشر.
* البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي. (1971). **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**. تحقيق : عبد الوهاب بن منصور. الرباط : دار المنصور للنشر والطباعة.
* التنبكتي، أحمد بابا. (2000). **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**. عناية وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة. (ط2). طرابلس : منشورات دار الكاتب.
* ربيعي، عبد الصمد. (2018). "**الهجرات العلمية الوافدة على بجاية بين القرنين [6-7هـ/ 12-13م] - دراسة إحصائية تحليلية-**". مجلة الدراسات الإفريقية. ع6. ص ص 2-17.
* سيدي موسى، محمد الشريف. (2011). **مدينة بجاية الناصرية (دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية)**. تقديم : محمد الأمين بلغيث، الجزائر: دار كرم الله للنشر والتوزيع.
* عبد العزيز، محمد عادل. (1987). **التربية الإسلامية في المغرب (أصولها المشرقية وتأثيرتها الأندلسية)**. مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
* عبد الوهاب، حسن حسني. (1955). الإمام المازري. تونس : دار الكتب الشرقية.
* العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد. (2005). **رحلة العبدري**. تحقيق : علي إبراهيم كردي، تقديم : شاكر الفحام، (ط2). دمشق : دار سعد الدين للنشر والتوزيع.
* عشي، علي. (2011). **المغرب الأوسط في عهد الموحدين - دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية- (534هـ /1139م إلى 633هـ /1235م)**. [رسالة ماجستير منشورة]. باتنة : جامعة لحاج لخضر.
* العقبي، صلاح مؤيد. (2002). **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخها ونشاطها)**. (ج2). بيروت : دار البراق.
* الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد. (1979). **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**. تحقيق : عادل نويهض. (ط2). بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة.
* فيلالي، عبد العزيز. (2002). **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**. (ج2). الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.
* المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد. (1994). **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**. تحقيق : بشير البكوش. مراجعة : محمد العروسي المطوي. (ج1). (ط2). بيروت : دار الغرب الإسلامي.
* محمد زينهم، محمد عزب. (1992). **الإمام سحنون**. تقديم : حسين مؤنس. القاهرة ، طرابلس، لندن : دار الفرجاني.
* محمدي، محمد. (2013). "**المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي**". مجلة حوليات التراث. ع13. ص ص 110-111.

* المقري، أحمد بن محمد التلمساني، (1968). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق : إحسان عباس، (ج2). بيروت : دار صادر.
* الوزان، الحسن بن محمد الفاسي. (1983). **وصف إفريقيا**. ترجمة : محمد حجي، ومحمد الأخضر. (ج2). (ط2). بيروت : دار الغرب الإسلامي.